# صفحات من مذكرات احمد الحسني البغدادي
# في مواجهة الدّين الآخر
# تنشر لأول مرة
# المؤتمرات العربية والإسلامية والدولية
# رفض.. حضور.. مواقف
# (٣)
# مؤتمر المعارضة العراقيّة في نيويورك

عُقِدَ باشراف زلمّاي خليل زاده مبعوث الادارة الأميركيّة عام ١٩٩٩م، عند انعقاده اصدرت فتوى شرعية بحرمة المشاركة فيه، وقد قيل لي إنها وزعت على هامش اعمال المؤتمر لكُلّ مَن حضروا في مؤتمر المؤامرَّة، وبتاريخ ١٧ رجب ١٤٢٠ هـ (١٩٩٩م)، وجه السيد محمد باقر الموسوي إليَّ سؤالاً حول شرعية ذاك المؤتمر هذا نصه: ما رأي سماحتكم في جواز المشاركة في الجهود القائمة لعقد مؤتمر سياسي في نيويورك باسم المعارضة العراقيّة تحت اشراف الإدارة الأميركيّة؟.. هل يجوز لنا المشاركة في مثل هذه الأعمال؟

وقد أجبتهُ صراحةً بالقول: العمل مِن أجل خلاص عراق المقدّسات، واجبٌ شرعي شريطةَ الانتماء إلى عقيدةِ الأمة، والعملِ تحت راية التوحيد والرسالة. هذا، ويجبُ مقاطعة هؤلاءِ الذين يلوذون بأعداء الإسلام ويساعدونهم بكُلّ حزمٍ وثباتٍ تخلصاً مِن كُلّ المخادعات المتداولة عند اعدائِنا، كما هي سيرتهمُ قديماً وحديثاً معنا، وبهذا الحزم والثبات نسقط نظام طاغية بغداد بطريقتنا الخاصّة، اللهم اجمع كلمتنا وانصرنا على عدونا بحق المصطفى وآله الأطهار.

س: ما الّذي حصل بعد ذلكَ..أي بعد انتهاء اعمال المؤتمر مِن خلال هذه الفتوى الصريحة مِن قبل المعارضة العراقيّة؟..

ج: لم يزرْني مِن الّذين إشتركوا في اعمال مؤتمر المؤامرَّة إلا السيد علي القبانجي وقد، وجه لي عتاباً «قاسياً» إذ قال: يبدو ـ يا أبا محمَّد ـ أنَّ كُلّ اللقاءات، التي أجريتُها معكَ لم تُثمر إطلاقاً، وكنْتُ أتصور أَنكَ «اقتنعت» بما طرحتهُ عليّكَ عن أهمية انعقاد هذا المؤتمر «الاستثنائي»، لأنه هو السبيلُ الوحيد لأنَّهاء الدكتاتور صدّام حسين، وقد أصابتني خيبةَ أَمل حينما قرأ لي مانشرته صحيفة «الواشنطن بوست» الاميركية و«الديلي تلغراف» البريطانية حول فتواك بحرمة، التعاطي مع الولايات المتحدة الأميركيّة.

فأجبتهُ ببرود: هل تعلم ـ ياأبا احمد ـ عندما كنت تسهب في أحاديثكَ حول نجاح مشروع المعارضة الإسلاميّة العراقيّة حصراً، بِسَبَبِ التنسيق مع الولايات المتحدة الأميركيّة، وقد كانت

ـ أي المعارضة ـ بالأمس القريب العدوّ الأوحد لـ «الشيطان الأكبر»، وإذا بها بين ليلةٍ وضحاها تنقلبُ على ثوابِتها، وتتنكر لشعاراتِها، وتتمسكُ بـ «الليبرالية الإسلاميّة».

المعارضةَ الإسلاميّةُ في الخارج ليس لديها عقلية قيادية، ولا تمتلك آفاقاً رحبة تقود الجهاد الإسلاميّ المسلح في الداخل بصيغٍ جديدةٍ وباساليبَ جديدةٍ، ولا تمتلك مشروعاً ورؤيةً تأسيسية بعيدةً كُلَّ البعد عن المشروع الأمريكي ـ الصهيونيّ، الّذي يستهدف الهيمنة على المنطقة برمتها باسم الحرية والاصّلاح والديمقراطيّة.

إنَّ المعارضةَ الإسلاميّةُ تهتزُ فتنزلقُ الى مشروع الخندق الاميركي، الّذي لم يكن في يومٍ ما جمعية خيرية، وبالتالي تعيش تحت سياط العولمة المتوحشة بعد أن كانت تعيش تحت سياط الدكتاتورية المشجوبة، وبالتالي تبقى في التيه المظلم بلا دليل، حتَّى يقضي الله أمراً كان مفعولاً، لهذا عليّها أَن تتحلى بالتقوى والعمل الصالح، والتواصل مع الله الواحد الأحد، وتتمسك بثقافة المقاومةِ، التي تمكنها مِن عملية المجابهةِ لتقويض النظام الدكتاتوري وإسقاط المشروع الاميركي.. وهي مطمئنةٌ الى صلابةِ الأرضيةِ الأيمانيةِ العريضة، التي تتحرك عليّها، وتحشد القوى الخيرة المخلصة لله ولرسوله في جبهة اسلامية موحدة تستميت في المحافظة على صيانة ما بقي، وأسترجاع ماضاع، وتركز ثقلها الاستراتيجي والايديولوجي واللوجستي والعسكري على صد الخطر الكبير الّذي يداهم أبناء الأمة.

توقفت لحظات، ثُمَّ قُلْتُ يا أبا احمد! يبدو انك تناسيت محاضرتي ضدّ قانون تحرير العراق السئ الصيت الّذي سَّنهُ الكونغرس الاميركي، وقد القيتها قبل انعقاد مؤتمر المؤامرَّة في نيويورك في ضاحية دمشق بتاريخ ١٩٩٩/٥/٢١م أمام حشد مِن الكوادر في الاتّحاد الإسلاميّ لطلبة العراق، وبينت معضلة الدور الاميركي ازاء الملف العراقيّ، والمعارضة العراقيّة المتعاونة معه، وقرّرتُ إلا أن اقرأ عليه نص المحاضرة(١)، فحمْدتُ الله واثنيت عليه ثم قُلْتُ:

نود في هذا الحدّيث أن نلفت الانتباه إلى أن المهتّمين بالشأن العراقيّ يؤكدون أَنَّ الإدارة الأميركيّة لا تستهدف تقويض نظام طاغية بغداد، بل تستهدف إسقاط المعارضة العراقيّة.. كخطوة أولى لتنفيذ مشروعها السياسيّ والميداني السيء الصيت الّذي سمي بـ «قانون تحرير العراق»، الّذي صدر عقب تحرشات طاغية بغداد المفتعلة بلجنة «الأنوسكوم»، وعلى هذا اختارت سبعة تنظيمات، ورصدت لها مساعدة مالية قدرها«٩٧» مليون دولار، واعتبرتها أكثر جدية ومصداقية للعمل السياسيّ، واستلام القيادة الجديدة المرتقبة في العراق، ومهمة التنظيمات تطمين مصالح الأمريكان في المنطقة، وذلكَ مِن خلال«تعزيز التعاون ضمِن إطار القواسم المشتركة بين فصائل المعارضة» و«الحفاظ على وحدة الثرى الوطني العراقيّ» و«احترام حقوق الإنسان» و«عدم الاعتداء على الجيران» و«الالتزام بقيم ومبادئ الديمقراطيّة!!..».

ومِن العجيب ترحيب فصائل هذه التنظيمات بالمبادرة الأميركيّة بصَّوت عال بلا خشية، وبلا حذر، وبلا كرامة.. بوصفها تمثل إرادة وطموح ومساعي القوى الاستكبارية لتحقيق مصالحها على حساب مصلحة شعبنا المظلوم، وقد وجدنا أن بعض هؤلاء، لا يعترف بوجود اتصالات مِن خلف الأبواب المغلقة مع مِن كان يُسمّيهم بالأمس القريب بـ «الشيطان الأكبر» وإن اعترف الجانب الآخر بوجود مثل هذه الاتصالات!!..

سُبْحَانَ الله!! اجتاحتنا صدمة لم تكن في تصوراتنا وحساباتنا.. حين لمسنا بوضوح أنَّهُ نسي، أو تناسى أن الوضع الداخلي في وادي الرافدين يشجب هذه الطريقة في التعامل مع محنته، ويراها طريقة لا عقلانية، ولا موضوعية.. ولا تحترم منطق المعارضة العراقيّة في الداخل، التي تمثل غالبية الشعب بعربه وأكراده وتركمانَّهِ وأقلياته القوميّة، كما يراها تدخلاً أمريكياً سافراً في الشؤون الداخلية، وهو المعروف بحقده، وعدم رضاه في التعامل مع قضاياه المَصِيرية عِبْرَ عقود متطاولة، لا سيما وأن تجربة انتفاضة شعبان ـ آذار الإسلاميّة البطولية المجيدة عام ١٩٩١ ميلادية، وموقف الأمريكان الداعم للنظام المهزوم يوم ذاك هو الّذي أدى إلى إجهاض الانتفاضة، التي راح ضحيتها بالدرجة الأولى الشعب العراقيّ، وهام على وجهه في البَيْدَاء والقرى والقصبات، وعلى قمم الجبال، وفي الأودية الوعرة!.. داخل وادي الرافدين الأشم وخارجه. وكان الهدف مِن عدم مساندتهم الانتفاضة هو الحفاظ على مصالحهم في المنطقة وحسب.

كما نسي أن هذه الّذيلية والتَّبَعِيَّةَ السياسيّة، والابتعاد عن الروح الوطنيّة والإسلاميّة ستقع فريسة للمداخلات الإقليمية والدولية، والطروحات والمشاريع الاستسلامية الدخيلة سواء بسواء.

فهل فكر بشجب شعب الوثبات والانتفاضات في عراق العتبات المقدّسة، ومِن ورائه المرجعية العلمّائية الحركية، والفصائل العاملة وعدم قبوله هذا القانون تمسكاً بالنصوص التشريعية الشاجبة لموالاة الاستكبار والكفر العالمي.. كما رأينا بالفعل شجب حشد كبير لا يستهان به مِن قوات لواء بدر، وحصلت انتفاضة وتظاهرات في قم وأحداث المَسجد الأعظم.؟!..

إذن... فماذا تعمل؟!...

هل حصلت على موافقة مسبقة مِن الجمهورية الإسلاميّة عدوة «الشيطان الأكبر؟!...».

أم أنت حرٌّ بوصفك «الزعيم الروحي» لملايين العراقيّين.. بناءً على تقييم مثير الحروب كُلّينتون؟!...

ولكنك لست حراً في أن تقودنا إلى مخالفات شرعية كارثية لا يمكن قبولها وتؤدي بالتالي إلى ضياع هويتنا الإسلاميّة، وتجزئة وطننا، وتقسيمه وتفتيته، وزيادة معاناة شعبه الأبي.

أيُّها الأحبة:

إننا في حاجة إلى قائد ميداني يعرف ما يريد، ويمارس ما يعتقد به، ويبادر إلى مصارحة شعبه، ويواكب المستجدات والأوضاع فيه ومعاناته وأزماته، ويضع حداً لسياسة خداع الذات.. وبالتالي يقرر أن يسير بالمسار الّذي يعطي فيه إشارة الضوء الأخضر، وليس بالمسار المعاكس له.. حتَّى يحافظ على مصداقيته، ويصون شعبيته، لأن الشعب يثق عادة بمن يصدق معه القول والفعل على حد سواء، ويشكك بمِن تتناقض أقواله مع أفعاله.

نقول بكُلّ صراحة: إن هذه الفصائل لا يعرف عنها الشارع العراقيّ شيئاً!.. فهي عبارة عن تجمعات صغيرة ليس لها وجود فعليّ يذكر داخل الساحة العراقيّة ـ باستثناء الحزبين الرئيسين

في شمال العراق، وأهم عناصر الهيمنة التي تمتلكها هي الدولار الأصفر، وتَبَعِيَّةَ سياسة حلف «الناتو» «NATO».

إن المراهنة على تقويض نظام طاغية بغداد مِن خلال هذه التنظيمات التي أعلنت الإدارة الأميركيّة عنها.. اشبه بالمراهنة على حصان خاسر بوصفها ليست مهيأة إطلاقاً لخلافة النظام الذليل.

وإذا كانت هذه الفصائل هي المستهدفة بفقدان الشارع العراقيّ اقتناعه بمصداقيتها، فلا ضير في ذلكَ، خصوصاً وأن الإدارة الأميركيّة تدرك واقعاً أن فاتورة العمالة لأمريكا باهظة التكاليف، فشعب العراق يكنُّ لأمريكا عداءً وحقداً صارخاً مِن يوم السادس مِن شهر آب عام ١٩٤٥ عندما أقدمت على استخدام القنبلة النووية على«هيروشيما»، وإبادة المدينة عن بكرة أبيها.. ثُمَّ أعقبتها بعد ثلاثة أَيَّام بقنبلة نووية فوق «ناغازاكي» المدينة اليابانية الثانية، وتلجأ اليوم إلى إشعال الفتن في العالم وبخاصة في فلسطين الإسلامية وتزُّودُ المؤسسة العسكرية الصهيونيّة بأسلحة الدمار بحجَّة حماية السلام العالمي وباسم الشرعيّة الدولية، وإقامة النظام العالمي الجديد!!..

وتهمة العمالة لأمريكا تعارف عليّها شعب العراق مُنْذُ زمن ليس بالقصير، وهي ذات التهمة الجاهزة عند النظام المهزوم ضدّ معارضيه الأشداء.

أما صدّام الطَّاغيَة.. فهو يستجدي التحرشات الأميركيّة والبريطانية «فكأنَّهُ يريد أن يقول للعالم ان المعارضة التي تتساقط وراء الإدارة الأميركيّة ليست وطنية» حتَّى تصب حممها الصليبية الحاقدة عِبْرَ الضربات الجَوّية والصاروخية الطائشة المدمرَّة المنهمرَّة فوق بغداد، وتلحق المزيد من الدمار بما تبقى مِن قدرات العراق، والإمعان في إيذاء الشعب العراقيّ، وبذلكَ تحقق أمريكا هدفها غير المعلن!.. وهو إلغاء المعارضة العراقيّة الوطنيّة مِنها والعميلة سواء بسواء، وإبقاء صدّام الطَّاغيَة ليتربع على كرسي السلطة، وهذا هو المطلوب مرحلياً!.. وهو الّذي ينسجم مع الاحتواء المزدوج.. وبالتالي تتقلص هيمنته، وحينها يمكن ترويض المواطن العراقيّ إلى حد ينشد معه التغيير بأي وسيلة كانت، لأن أي بديل لنظام طاغية بغداد الذليل لن يكون أسوأ مِنه، وأسوأ مما هو قائم في وادي الرافدين إطلاقاً.. وبالتالي يكون مهيئاً لاستقبال الجندي الأمريكي عندما يجتاح أرضه عنوةً، كما حصل في الكويت أبان عملية عاصفة الصحراء!!.. غير أن حرارة الاستقبال مِن لدن الشعب الكويتي لم تدم طويلاً، وتجربة الإدارة الأميركيّة في الصومال أكثر بروزاً في الساحة العالمية.

قالوا: يجمع الخبراء في تقنيات التجسس الإلكتروني على أنَّهُ: في ظل اللجنة الدولية الخاصّة بنزع أسلحة الدَّمار الشَّامل العراقيّة «أونسكوم» التي أُنْشئَتْ عام ١٩٩١م، ومِن خلالها دارت أكبر حرب جاسوسية بين واشنطن وبغداد، وأُستعملت فيها مِن قبل الجانب الأمريكي كُلّ «الأجهزة المتطورة» مِن أقمار صناعية، وعقول إلكترونية، ومجسات تمشيط للاتصالات، ووسائط رصد وتنصت، والهدف مِن ذلكَ كُلّه هو اختراق الشبكات الأمنية التي تحمي طاغية بغداد وعائلته، وتتحكم في الجيش، والحرس الجمهوري، والأمن الخاص، مِن خلال هذه التقنيات يصبحُ صدّام الطَّاغيَة في قبضتهم، فيطلقون عليّه رصاصة الرحمة في أيّ وقتٍ، دون حاجةٍ إلى انقلاب عسكري، أو تنسيق مع فصائل المعارضة العراقيّة المتنافرة على المخططات المرحلية والاستراتيجية.

ونقول: ما في ذلكَ ريب أن نظام طاغية بغداد في قبضتهم الحدّيدية في أي لحظة بعد أن استنفذت به كامل أهدافها، والثابت أن تصريحات الإدارة الأميركيّة الداعية إلى اعتبار هذا العام هو نهاية طاغية بغداد المهزوم، وقبلها جولة وزيرة الخارجية الأميركيّة في عدد من عواصم منطقة الشرق الأوسطية ما هي إلا مسرحية طاغوتية، ومازلت أحفظ في ذاكرتي ما طالعته في إحدى الصحف العالمية حول تصريح «كُلّينتون»، فقد كشف أن التغيير في العراق مسألة طويلة الأمد ومعقدة للغاية، ويستلزم مزجاً صعباً بين صواريخ كروز، والعمليّات السرّية الجاسوسية.

هذه التناقضات الصارخة كشفت فصول المؤامرَّة الأميركيّة بوصفها تريد تقويض صدّام حسين بقدر ما تعمل على تركيز نظامه، والإضرار بمصالح الشعب وطموحاته، وشل قدراته في سبيل إبقائه بعيداً كُلّ البعد عن أداء دوره الإسلاميّ في عملية الصِراع المَصِيري مع الكيان الصهيونيّ.

وأخيراً، إن الشعب العراقيّ يعرف قادته الإسلاميّين الأحرار والوطنيين، المستقلين مِنهم وغير المستقلين بكُلّ وضوح.. وقوى الثورة الرجعية المضادة يدركون هذه الحقّيقة الواقعة، وما يشكُلّه هؤلاء، وما يملكه هؤلاء مِن الجذر والثقل الحقّيقي والمركزي في عراقنا الطامح إلى إسقاط الدكتاتورية، وإقامة البديل الإسلاميّ على أنقاضها، لأن عراقنا المجاهد يريد بكُلّ وضوح بديلاً رسالياً حركياً، وقدم ولا يزال تضحيات جساماً في سبيل بديلٍ أرقى وأفضلَ وأمثلَ يقر بتعددية سياسيّة لا تُسْتَثْنى أية طاقة وطنية فاعلة فيها، هي دعوة عَقلانية هادفة مِن الوجهة النظرية والتطبيقية والتعبوية. والله أكبر وجهاد حتَّى النصر.

وبعد انتهاء المحاضرة طُرِحَتْ عليّ عدة اسئلة متنوعة ننشر بعضاً مِنها:

- وكما أنتم تعلمون.. إن الصِراعات الداخلية هي أكثر ما مزق شمل الأمة ووحدتها، وعطل طاقاتها، وبدد طموحاتها، وبِسَبَبِ ذلكَ سقطت الدولة الإسلاميّة على يد الصليبية في الحرب العالمية الأولى!!.. ولكن يرى البعض أن فصول المؤامرَّة لا تنتهي، فقد انتقلت إلى داخل كيان قوى الحركات الإسلاميّة، بينما هذه الحركات تعيش تحديات خارجية هي أحوج ما تكون فيها إلى الوحدة ورص الصفوف في جبهة موسعة تستوعب نضالاتها، وتحدد القواسم المشتركة بينها.. ولاسيما بعد أنْ أصدر الكونغرس الأمريكي قانون «تحرير العراق».. فالواجب عليّها أن تعمل بجدية لإيجاد أُطروحة لإسقاط فصول هذه المؤامرَّة، خصوصاً أن العمل الجبهوي الوحدوي أساسٌ في برامج هذه الحركات.. ما رأيكم في هذه المسألة؟..

-- إن هناكَ عواملَ متعددةٌ لا بأس بالاشارة الى البعض مِنها حسب وجهة نظري:

أَوَّلاً: إن ظاهرة التشهير والتسقيط والتكفير.. ليست بجديدةٍ في الساحة الإسلاميّة بوصفها قاعدة، أو مقدمة لصِراع.. سواء كانت هذه الصِراعات بين جماعات داخل الأمة وبين النظام الحاكم، أوبين المرجعيات العلمّائية، أوبين الحركات الإسلاميّة.. وكُلّ آليات هذه الصِراعات قائمة على صيغ جديدة، بعيدة عن روح الإسلام وان كانوا يستدلّون على جوازها تحت ذرائعَ ومبرراتٍ، وتحت مظلاتٍ عديدةٍ أبرزها: التفسيقُ والتكفيرُ!!.. الا أنَّها لا تُعِبْر عن حقيقة الإسلام الحضاري القائم على أساس التفاهم والتعايش، وحل المشاكل بالحوار الإنساني الحضاري، وبالاعتراف المتبادل، والتفاهم المباشر.

ثانيّاً: أعتقد أن محاولة تحقيق جبهة الإنقاذ الوطنيّة الإسلاميّة لإسقاط قانون تحرير العراق.. هي فرصة حقيقية لبدء عملية توحيد العاملين مِن أجل القضية العراقيّة، إذ تبرز بين الحين والآخر دعوات وتحركات صادقة لتوظيف هذا الاستحقاق بقصد إعادة عراق حر آمن شوروي تعددي، والعمل على وقف الانزلاق نحو الصِراعات الجانبية، والمزايدات السوقية، والمساجلات الكلامية.

هذا، وقد يكون توحيد العاملين مِن أجل القضية العراقيّة هو: الخطوة الضرورية الأولى، بَيْدَ أن الخطوة الأكثر إلحاحاً، التي تشكّل الوجه الآخر هي: عملية التغيير باعتبار أن التوحيد برسم الحاضر وأما التغيير فهو برسم المستقبل.. فالخطوةُ الأولى هي: جمع العاملين على اختلاف اتجاهاتهم وقياداتهم.. والخطوةُ الثانية هي: الطريق لاستقطاب عاملين جدد مِن مختلف الشرائح الاجتماعية، وبقدر ما يتطلب التوحيد بناء المؤسسات الحركية الكبيرة، فإن التغيير يتطلب مشروعاً حركياً يقارب أحلام حاجات الطلاب والمثقفين والشباب، ويلبي حاجات أصحاب الدخل المحدود مِن المزارعين، والموظفين، والطبقة العاملة.. ويقترح الحلول لمشاكل الاقتصاد والمّال والبيئة والتربية والتعليّم والتنمية الكاملة المستمرَّة بلا انقطاع.. مشروع كهذا يقود وحدة الحركات الإسلاميّة العاملة في العراق وتماسكها، ويعيد إليها وهجها وشعبيتها، ويفتح أمامها طريق الحاضر والمستقبل، في غيابه تستمر حالات التسيب والضياع والانقسام، ويسفر التغيير عن تحوّلاًت في الشكل والمظهر لا تتناول الجَوّهر بكل ما في هذه الكلمة مِن عمق وإحاطة.

- مِن خلال المحاضرة نستنتج أن المجلس الأعلى ليس له وجود ميداني في الساحة العراقيّة، والمعروف أن المجلس يتألف مِن عدة فصائل إسلامية، وهذه الفصائل لها جذور تنظيمية في الداخل... أليس كذلكَ؟

-- فلنكن صرَّحاء... إن الحركات والقوى الإسلاميّة أقامت تحالفاً شاملاً بعد الحرب المفروضة على الجمهورية الإسلاميّة في إيران، وكان هذا مِن خلال تكوين: «مجلس إسلامي أعلى» كأطروحة جديدة سياسية بديلة عن الحزب القائد، بَيْدَ أن هذا المجلس لم يكتب له التوفيق والنجاح، لأسبابٍ عديدة يعرفها المهتم بالشأن العراقيّ أبرزها:

١-: تحول المجلس إلى«حزب» حاول بأساليب ملتوية نسف الأحزاب والحركات الأُخرى، ليكون بديلاً شرعياً عنها!!..

٢-: الّذيلية المطلقة القائمة على نظرية «الرمز» وتغطيتها بنظرية «حزب الله».. حيث يترتب على هذه الّذيلية انسحاب، أو تجميد الأطراف المنضوية تحت لوائِهِ، إنْ يكنِ البعض لا يصرَّح بذلكَ لأسبابٍ يمكن فهمها.

ومِن هنا.. أصبح «المجلس الأعلى» لا يقدم ولا يؤخر في بلورة آلية التغيير، والمشروع التغييري.

- ما هو التكليف الشرعيّ مِن سماحتكم في حال نجاح تنفيذ هذا المشروع في عراق العتبات المقدّسة.. مع أن الفتوى الفِقْهية تَعْتَبْرُ قانون «تحرير العراق» تدخلاً صارخاً في شؤون العراق، ولا يسوغ التعامل معه بأية صيغةٍ مِن الصيغ؟

-- ما في ذلكَ ريب... إننا لا نقر بشرعية ما يُسَمَّى بـ «قانون تحرير العراق»، لأَنَّهُ شُرِعَ مِن خلال دولة ظالمة كافرة استكبارية، لذلكَ نحن لا نرى أَيَّ مبررٍ عرفي أو شرعي أو قانوني للإقرار بهذا القانون السيء الصيت، الّذي يحمل بين طياته أكثر مِن مغزى، وله أكثر مِن هدف غير معلن.

نحن نقول بصراحة: إذا تمَّ تنفيذ فصول المؤامرَّة حسب مواصفات الإدارة الأميركيّة ومقاساتها في الساحة العراقيّة.. فعلينا أن ندرس الظروف الموضوعيّة والذاتية آنذاك لنعرف كيف نحرك المواجهة في خطط مدروسة، وأساليب عمل جديدة تتلائم مع الزمن الّذي نعيش فيه مِن خلال التدبر والتعقل والحكمة، يعني أن ندرس كُلّ الظروف الموضوعيّة، وقد نتعايش مع «الباطل» مِن خلال التعددية السياسيّة والأيديولوجية الشورية التداولية، بَيْدَ أننا لا نعترف بشرعيته مِن حيث المبدأ كإسلاميين أحرار نعمل ونسترشد بموجب المِنهاج المنضبط والبيان الإسلاميّ.

هذا.. ونعتقد أَنَّهُ مِن دون التعددية السياسيّة، تتوقف حركة التاريخ، وتتجسد النزاعات الفئوية والطائفيّة والعرقية، ويغرق العاملون في التيه المظلم بلا دليل.

وعلى ضوء هذا كُلّه دع ألف مصباح يتوهج، وألف وردةٍ تزهر.. فلكُلّ مصباح جماله، ولكُلّ وردةٍ عبقها.

- تطرح إشكالية مفادها أن قوى المعارضة الإسلاميّة العراقيّة وأحزابها التي تعيش في الخارج.. توجد إشكالية في التعامل معها، لأَنَّ الطريق إلى فهمها متعسرٌ، والعقول فيها متضاربةٌ، والآراء حولها متصارعةٌ!! وليس بعض فصائل المعارضة الإسلاميّة أولى مِن بعض.. فلابُدَّ مِن بذر بذور الشك والريبة فيها، فلا حقيقة واقعة لها على صخرة الواقع العملي في عمق الساحة العراقيّة، بل إنها تحولت إلى مؤسسة سياسية برجماتية.. ومِن هنا يجب السعي الجاد وراء المرجعية العلمّائية بوصفها الطريق الوحيد لخلاص الشعب العراقيّ مِن نظام القتلة في بغداد.. وكُلّ ما عداها فإنما هي زور وبهتان وبدع وضلال، ولا يسوغ التعامل معها، والانخراط في تنظيماتها. فما هي وجهة نظركم حول هذه الإشكالية؟..

-- هذه الإشكالية، على خطورتها، أمرٌ طبيعي متوقع ما دام هناك مؤامرَّةٌ دوليةٌ تعمل باسم القانون الدولي الجديد تارةً، وباسم «العولمة» تارةً أُخرى، ضدّ الإسلام ودعاته العاملين، وعليّنا مواجهتها بالأساليب العلمية الموضوعيّة مِنها والعَقلانية.

هذا، ونحن نؤمِن مِن حيث المبدأ بـ «المرجعية العلمّائية الحركية الرشيدة» التي تعمل لنشر كلمة التوحيد والرسالة، وتحارب المستكبرين والطغاة الجبابرة، وتواكب المستجدات والأوضاع المحلية والإقليمية والعالمية.

ونحن نؤمِن بـ «العمل الحركي التنظيمي»، وعندنا يجب الانخراط في تنظيمات القوى والحركات الإسلاميّة بعد أن تتوفر في قياداتها شروط القيادة الشرعيّة، التي تسيرُ على خط أهل بيت الرسول محمَّد صلى الله عليّه وآله وسلَّم.

إذن.. هناك علاقةٌ جدليةٌ بين المرجعية العلمّائية، والحركات الإسلاميّة، بل الأخيرة تمثل جسرّاً تواصلياً وتلقائياً بين المرجع والأمة مِن خلال الأساليب التنظيمية التعبوية.

إذن.. وجهة النظر القائلة: إنَّ كُلّ ما عداها باطلٌ وزور، وبدعٌ وضلال.. هذا لا يسوغ بالعنوان الأولي لمّا لهذه الحركات من موقع عملي في حركية الأمة وفي مقاومة الكفر العالمي، ونصرة الإسلام وتطبيق أحكامه.

نعم.. يمكن أن نقول: يسوغ نقد هذه الحركات بالعنوان الثانوي لا على نحو الإطلاق، لأن كُلّ شريحة مِن شرائح المجتمع، وكُلّ فصيل مِن فصائل الحركات فيها الصالح والطالح.. وفيها الحقّ والباطل، ما في ذلكَ مِن ريب.

بل ذلكَ ممكن حتَّى بالنسبة للمرجعية العلمّائية.. وخاصةً إذا تحولت إلى مؤسسة فتوائية فحسب فإنها، تفقد صفة قيادة المجتمع وحركته.

نعم.. ياأبا احمد يبدو أنَّك ما كنت تعرف ذلك كله وان عشت أراك الدهر عجبا .

ومهما يكن، في صيف ٢٠٠١م جرى لي حديث في مكتبي في دمشق مع ثلة من العاملين الإسلاميين داخل العراق حول خطورة الحوارات واللقاءات السرّية والعلنية مع الادارة الاميركية دون قيد أو شرط في شأن القضية العراقية، وبالتالي تحولت قيادات المعارضة الى موظفين في سلطة الاحتلال الاميركي في العراق، وبعد ان تُركت لهم «أمانة حركة التاريخ النبوي» الامانة الملقاة على عاتقهم حتى يحافظوا عليها قبل ان يذبح العراق بلد الانبياء والاوصياء وغداً سيطول الحساب.

ومن هنا اقول : عندي قراءة جديدة تصل إلى مستوى الانفتاح والتواصل والتعاون.. قد يوافقني البعض عليها، أوقد لا يوافق فهو حر.. أنا لا أدّعي الصواب، وقد أكون مخطئاً، وكما قلت صحيح نحن نسعى إلى طرح تأسيس شيء جديد لدور المعارضة الإسلامية العراقية، ورفعها إلى مستوى أن تكون معارضة حضارية التفكير.. ثورية الممارسة.. وألاَّ نكون نحن بالنتيجة محكومين بهاجس استبدادي.. بالعكس نحن نسعى بإخلاص لرفع شأن المعارضة العراقية وإعطائها دوراً فاعلاً الذي ينبغي أن تكون فيه بمستوى المسؤولية التاريخية.. وإذا كانت هي منزوية عن هذا الدور المرسوم، ولا تريد أن تعترف أن لها دوراً، فهذا أمر آخر.. هي تعتبر أنها بمجرد أن اعترفت بشرعية الشعب العراقي المعارض في الداخل يجر ذلك شرعية وجوده وأنه لا نقص فيه عن مواصلة دوره السياسي والمسلح.

أمام هذا الواقع ماذا تفعل؟.. تسكت... وفي السكوت قبول بالأمر الواقع، أو تتمرد وتقول لا أنتم لستم معارضة فاعلة في الساحة العراقية بالمعنى الذي ينبغي أن تكون انتفاضة شعبان - آذار الإسلامية خير شاهد على ذلك.

وهذا تحريض إيجابي، وليس مدمراً ولا يفترض فيه مسبقاً أنه مدمر.. المشكلة ليست مع المعارضة العراقية القائمة الآن فقط.. المشكلة مع مشروع المعارضة كذلك.. الآن من يسعى لإيجاد أو بناء معارضة بهذا المستوى من المسؤولية، ومن يريد أن يدرب هذه المعارضة كذلك لا يمتلك تطبيق هذه النظرية أي: المشكلة هنا أن المعارضة الإسلامية العراقية ليس لديها عقلية قيادية تمتلك آفاق رحبة تقود الكفاح السياسي والمسلح في الداخل بصيغ جديدة وأساليب جديدة إلى ما نريد.. تلك الأُسس المفروض أن تكون راسخة لنقف عليها.. فأكثرية المعارضة حالياً تهتز وتنزلق في كل لحظة، بل نجدها أحياناً تنقلب على وضعها الذي كانت عليه من أقصى

اليمين إلى أقصى اليسار.. كل هذا بسبب هشاشة الأُسس وفقدان العقلية القيادية التي تقوم عليها في بنائها الفكري والميداني.. وبالتالي نحن ندور في حلقة مفرغة، فمن يريد أن يشرف على طموحات الشعب العراقي في الداخل هي نتاج قيادات المعارضة القديمة، وأفضل ما يمكن أن تُنتِجَهُ هو أَنْ تنتج معارضة على شاكلتها، ولكن ليست هذه المعارضة هي المعارضة المطلوبة، ودورها الآن بدأ بالتراجع.. وهذه النماذج من المعارضة العراقية الحالية لم تعدْ تصلح لمواجهة التحديات.. أن يمسك الشعب العراقي بعربهِ وأكرادِهِ وتركمانهِ وأعراقهِ الأخرى غير المعارضة في الداخل أوفي الخارج بالبرامج ويشرف على عملية إعداد معارضة حقيقية فاعلة في عمق الساحة العراقية، ليس مسموحاً أن يقال له: أنت لست معارضاً لتشرف على إعداد معارضة جديدة.

إذن نحن في مأزق، فلا المعارضة الإسلامية العراقية في الخارج التي يفترض فيها أن تمتلك مشروعاً ورؤية تأسيسية لإنتاج معارضة في الداخل والتواصل معها من خلال اتحاد أو جبهة إسلامية متراصة.. ولا الشعب العراقي الذي يعيش تحت سياط الطاغوت صدام حسين مسموح له أن يشرف على ذلك.. ولذا نبقى في تيه مظلم بلا دليل حتى يقضي الله أمراً كان مفعولاً، ولهذا علينا أن نتحلى بالجرأة والشجاعة ونكران الذات، وأن نعمل على إيجاد الثقة من جديد، وإلزامهم بكلمة التقوى التي هي أحق بأن تتبع، وإذا وُجِدَتْ الثقة بين الفرقاء فالجبال تتزلزل، ولا يتزلزل المؤمن الحركي الصادق الأمين.

ونحن لا نريد أن نخسر فصائل المعارضة الإسلامية، وإنما نريد أن يربح الجميع، ولا نريد أن ننتقم من أحد فكلنا أخطأنا، وينبغي أن نتوب بلا استثناء، إلى الله الواحد القهار بوصفه المطلق.

ولا نستطيع بأي حال من الأحوال أن نصحح الخطأ بالخطأ.. فكم من مرة حطمنا معنويات الطاغوت، ولكن روحه تلبست فينا، وأصبح بعض من ثاروا عليه طواغيت مثله وأكثر منه ظلماً وعدواناً واستبداداً.

هذا ما يجب أن أقوله، وقد أصبح ديدني بعد انتكاسة الانتفاضة الشعبانية الإسلامية الكبرى أن أقول والحق يقال: أنتم يا إسلاميون بكل فصائلكم تعالَوا نوقف الوحشة فيما بيننا، ونعمل صلحاً لأجل أن يتعرف بعضنا على بعض، وأن يلتقي بعضنا ببعض.. لكي نتجاوز رأب الصدع متجاوزين انتماءاتنا التنظيمية والميدانية بالكلمة الصادقة الملتزمة.. بدلا من الاعتماد على المعلومات غير الدقيقة، والشائعات والمواقف المسبقة، ونتوخى لشعبنا المظلوم مواجهة التحديات الحضارية الخطيرة وطبيعتها التي تمس قيم الأمة.. إذن لماذا هذه القطيعة وهذه الهواجس الموجودة بيننا؟ في حين نترك الساحة لأصوات دعاة التطبيع مع نظام الطاغية، والمتطرفين من الواجهات السياسية المختلفة.

ولكن لا أحد يسمع، وأكثرنا متدينون ووطنيون نؤمن بالخصوصية العراقية، ولكن ما زال فينا حنين من الضَعْف يمنعنا من الاستجابة والمبادرة الثورية يضاف الى ذلك قلة الوعي والحس الإسلامي والوطني، مما يقود الفرقاء إلى منحدر الخسران المبين.. وبالتالي يصبح المستفيد هو الطاغوت صدام حسين،.. فماذا ننتظر بعد هذا التيه المظلم بلا دليل؟!!..

بسم الله الرحمن الرحيم (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ، وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ، وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) سورة آل عمران، الآية: ١٠٥(٢).

---

**(١) طبعت في كتاب مستقل تحت عنوان : «عودة الوعي»، الطبعة الرسمية الاولى : ١٩٩٩م، الناشر : مؤسسة الباقر بيروت ـ لبنان.**

**(٢) موسوعة : «هكذا تكلم احمد الحسني البغدادي ...» ٣٤٠/٣ وما بعدها .**